ما تبقّى من عبق

د. نزار بريك هنيدي

من أين ينهمرُ الرّكامُ على ينابيعِ الجسدْ
لم يكتملْ إشراقُنا
وتلالُ صبوتنا الّتي اصطفَّتْ
على شَفَقِ اندلاعِ الرُّوحِ واستشهادها
تعلي قناديلَ التّشوّقِ
في انتظارِ وصولنا
ومرافئُ الآفاقِ تسفحُ لازَوَرْدَ ضيائِها
في قبلةِ الإغواءِ عن بُعدٍ فيغتلمُ الدمُ المهتاجُ
في أوصالِنا
من أين جاءَ الخوفُ
كي يغتالَ فينا
هاجسَ الإيغالِ
حتَّى الموتِ
في أحشاءِ أسرارِ الأبدْ

من أين تنهمرُ الظّلالُ على زوايا القلبِ
كانت أغنياتُ اللّيلِ مازالت تُهيلُ الوجدَ
فوق الوجدِ
والأنسامُ تنشر حولنا
حمّىٰ السّهرْ
كانت خلايانا تمورُ ببهجةِ الأنغامِ
والآهاتُ تقفزُ
فوق أحبالِ القمرْ

كان الزَّمانُ حمامةً
تغفو على الكرسيِّ بين ثيابنا
والعريُ يسكرُنا
فنرقصُ
بين أهدابِ الخَدَرْ

من أين جاء الخوفُ
كيف هوىٰ بعتمتِهِ
على وهجِ ارتعاشتِنا
وكيف تسلَّلتْ أحزانُ عمرٍ كاملٍ
في لحظةٍ
كي تستبيحَ عروقَ نشوتِنا
وتطمرَ موجَنا
تحت الزَّبَدْ

من أين جاء الخوفُ
كان الفجرُ مغبرّاً
فراحت حشرجاتُ السّروِ تنأى
عن لهاثِ العشبِ
والأنفاسُ تزفرُ همهماتِ الذّعرِ
والأشياءُ تنضحُ بالأنينْ
صارتِ الأضواءُ
تشبه أعينَ الحرّاسِ
والأصواتُ
تشبهُ ضجّةَ المفتاحِ
حين يدورُ
في بابِ السّكونْ
جَمَدَ الهواءُ
اسودَّتِ الجدرانُ
غارَ الماءُ في ينبوعِهِ
وعلا فحيحُ الانتظارِ
ونَزَّ شريانُ القلقْ

من أين ينهمرُ الغبارُ على الأُفقْ
هِيَ ليلةٌ
فرَّتْ من التَّقويمِ
لمّا فاحَ تفّاحُ المفاتنِ
فاستفاقَ الدّفءُ وسَطَ الزّمهريرِ
ورفَّ فوق خرائبِ الأحلامِ
عصفورُ الألقْ
هي ليلةٌ
فَتَحَتْ بها الرُّوحُ النَّوافذَ
كي تطلَّ على الحياةِ
لبرهةٍ
وتؤوبَ نحو صقيعِ غربتِها
تكابدُ لوعةَ التّذكارِ
تحضنُ
ما تبقَّى
من
عَبَقْ.

دمشق